

لا ربيع من زهرة واحدة

د. ماجدة غضبان المشلب
Masaash2000@yahoo.com

إلى نساء ثلاث نظرت اليهن مليا فبكيت قدر الانثى ودوت بداخلي صرخة لا تهادن الصمت :-
قرة العين (1) ، و اسميرالدا (2) ، و شهيدة قلعة سكر (3).

لا ربيع من زهرة واحدة (4)

هارون دوما (5)

ايتها الغمامة (6)

اذهبي حيث يشاء

فأن خراجك

عائد اليه

ابدا

انتحبتُ بصوتها

وارتديتُ رثاء اهلها

ونهشت احشائي

مجاعتها

ولم ازل أنهل

ماءها المنقوع

بالدم

بمشرط صغير

تبدو الكلمات المحفورة

متوهجة

حمراء

كجمر يتقد

في الظلام

حجر وحيد

في القعر الصاخب

يتحرك بتؤدة

لا تدرك عيناه

انه قادم

لجزائرها

حتما

تتناثرُ على جلبابها

المسوخُ

وتساقطت خلفها

اوراق الشجر

واندحرتُ كلُّ الوجوه

المقدسة

فوق حطام المدن

ترمقني

زهور البنفسج

وفي أصيصها القميء

تفتح المجراتُ

ثغرها

كأطيّار بلا زغب

طاف

كما يطوفون

وهرول
كما هرولوا

في الليل
انتحبتُ السماء

طويلا
وحفرتُ سواقِيتها
الدموغُ

يمتدُ
غير مكترث
بالمسافة
ولا بغروب
يتلوه فجر
انه يمتد
يمتد
فحسب

يبيحون لي

قرار البحر

قرار النهر

قرار البئر

قرار الكأس

قرار القبر

ولا قرار لموتي

للزهر أن ينحني

ذات يوم

في زهرية

الشراء

ناسلتني الايام

وحبلتُ

بالقحط و الحروب

والدماء

ولم ألد

ولي العهد

بعد

في مملكة النمل
عصي على الرعايا
تسلق
حصاة طريق

ايتها الغمامة
تبددي
متى شئت
فأن خُرجه
لن يمتليء
ابدا

العراق دوما
حين يحل الحزن
غالباً
ما يرحل
بتثاقل شديد

غادري المحيطات

الزرقاء

والقارات الدامية

واستقري

بين اناملي

فهناك سكينه

قلبي

وندى القصائد

لا تكفي عيون

العراق

كل فجر

لزهرتي

دمعتان

وأهه

للنساء

والغراف (7)

والنخيل
نكهة واحدة
وعشق يتلأأ
على النحور
والسعف
وصفحة مياه
رائقة

انجبتُ قدماي
طريقها
ولم تنجبُ قدمي
الحصى
ولا الصخورُ الناتئة
بالالم
ولا شمسُ الدم
المغلقة
على آهاتها
الحرى

كرات زجاج ملونة

تومض كالشهب

وبقعة تراب

وكفاه سمرأوان

متناهيان في الصغر

تلهوان بجذل

الطيور

أيتمّني المدائن

والشوارع المضرجة

بعويلي

والبيوت التي تهدلت

نوافذها

كخصلات شعر رأسها

الذبيح

أن تطير

حتى السقف

أو أن تسير

على الجدران

مائلا

كمسخ كافكا (8)

غير مبال

بلحظة السقوط

لا يعني ابدا

انك قد اصبحتَ

حرّاً

تختفي أشجار البرتقال

وتعوي المفازات

القادمة

في أذنيه

وتتساقط ارياش

طيور التم

نائيةً

عن احوارها

لا ندبة

على جذع شجرة

مقطوع

ولا نأمة للعشب

تحت اقدام الجنود

جردتني السنابلُ

من حباتها

وهوتُ بمناجلها

شمسُ نيسان

تحت ذلك السقف

أدرك السحابُ

ان لا بهجة للآيتام

تحت سياط

المطر

بردتُ صحوني

في انتظار عشاء

يسوع

وجفت أنهار تعميدي

وتناوشنتني

سيوفُ يزيد

هو دوما

إغلق عينيك

وتمادى

في حلمك

تمادى

والأحرى

ان لا تستيقظ ابدا

عقارب الساعة

تتلوى

تحت ثقل التبدد

وتنزف دمه

على الجدار

ببطء قدم حلزون

لرّجة

تك تك

تك تك

تك تك

تك

؟؟؟؟

!!!

نخلة و حَوْش

وسدرة نرّميها

بحجر

هذا كل ما انتقيتُ

في جيبِي المخزوق

من ذكرى الوطن

ينادمُ الكأسَ

وملامحها

على المائدة

لا تبارح العبث

البيوت التي غطاها

الغبار

الموزعة بين حقائب

السفر

أفاقتُ على جثمان

الغريب

بلا تذاكر عودتها

صفراء

كأوراق كتّيب قديم

كقمم القمح المهيبة

كذرات تبين محلقة

كخصرها الدقيق

حين يلامسها

كشحوب عينيها

تحت سحب دخان

الفجيعة

ظنَّ أنه

كما السلحفاة

يحمل بيته

حيث حلّ

مساءً

يتساقط نثيثُ الثلج

وترتعد بغداد

كأمرأة عارية

الريح ثملة بي

تراقصُ

جسدَ العطر

الفتيّ

وذراعاها كأعواد قصب

تشارك الاهوارَ

مدافنها

في زاوية

من المسرح
كان للعشق
عيونٌ من حجر
وللقلب جدارٌ
دون مسامات

نهدان نافران
اعلى الشجرة
وبرعم ينتشي
وقبله تتأرجح
في الهواء
وصياد ماهر
يملاً السلال
بقطرات دم
عذراء

أصغى
ملياً
الى إرتطام القطرات

على أخاديد الرصيف

وصوتُها يغيب

يغيب

في بيت صغير

فقط

تعرف العاصفةُ

معنى الأعاصير

الوجه ينسدل

من لوحة عتيقة

وسور من العناكب

يشاكسُ الألوانَ

والدمعةُ الفاقعة

يشاكسُ فقاعةً

هامدة

من شهيقٍ أخير

كتف من جليد

وعينا أنثى أنهكها

البكاء

في قطار

يتوغل غرباً

فوق هالة قنوطها

تتعرّى

طقوسُ الشروق

طُرقِ البابِ

وتقادمُ خطوات

الامس

وتثاقلتْ

أقدامُ جنّامين

الغد

الكرسي يهتز

دون توقف

بعيداً

تقطن مدينةً

لا شمسَ

لِعتمتها

ورقة صامتة

واخرى

دون سطور

وثالثة

مزقت ملامحها

خربشة قلم

ورابعة شطرها

البحثُ

عن إتجاه واحد

للرحيل

كل الذكريات تسجد

عند صباها

حتى الفجر

وكل البقايا من عرش

زهرة مجففة

تهطل من سقف

روحي

مذ كنت أحبو

وانت تهيلين

ترابك

على وجهي

ومازلت

حتى قبل ان يستردني

الكفن

على جانبيها

يدرك الموج

انه لن يبلغ

قمتها

دون ثورة

هوجائها

احرزتُ كل القبل

الخضراء

و اينعتُ

سنون جوع

مالحة

وتلك الشفاه

تتلظى

في علبة

من خرف

هي دوما

تدوي

ليس لأن الشمسَ

تغادر

او لأن القمر

يعلوه الغبار

يل لأن للماء

رائحة الموتى...!!

يا قرّة العين

يا شمس كربلاء

أسفري عن وجهك

ذلك أجدى

من مناطق الحجر

لم تزرني

حكايات جدتي

واسبلت طفولتي

جفنيها

ونضت عن القبلات

اثواب حدادها

وآنتصب سرير العهر

خلف شهوتها

المتدلية من فرع

ينوء بثقلها

تبكي المرأة

رجلاً أعمى

وآخر أحمق

بكيْتُ

وكان لدمعاته

حجمُ غماماتي

ولكفيه الصغيريتين

سعةُ جوف البحر

قبضة من الزهر

ومن حرقه الاصيل

ساعة المغيب

ومن بقايا لوعتي

وعيناك تنحر اللقاء

من يبيع لي

ان أهجو

كلَّ الكائنات؟

وكل قوانين

البشر؟

كل ما صنعه

خناجر الرجال؟

امراة للمرايا

وضجة الألوان

الماجنة

وفحيح الرجال

ودموع غارقة

بكلها

مساءً

تكون التجاعيد

أشد ألفة

مع المكان

وأقصى من الصخر

على رحي

الذكريات

بين أربعة جدران

وسقف

يمكن للمرأة

أن ترى

كل قبور الارض

البركان ينثر حممه

على جسدها

الصقيل

ونهداها على وشك

السقوط

بانتظار

نيوتن جديد

كل قبلة

لها رضاها

الدامي

يوما ما ستشحب

شفاه أربع

تعافر وصادتها

وتمد بصرها

من نافذة عوراء

حتى جدار جارها

المتآكل

فرعها الاخضر

من خشب

وثمرها الماسي

ينضج

وعزّ على المؤمنين

بقصائدها

القطافُ

المرأة

لا تزرع وحدتها

في حقل الجليد

بل شفتاها المكتنرتان

ظماً

قرط في أذنها

وآخر فقدته

حين صفتها

يدُ العراء

تأوهت..

وأنبسط الألم

تحت جسدها

كرقعة سجد

مهترئة

على الرصيف

تجلس أمام بضاعتها

بذهول

فوق رأسها

عش من صراخ

الجائعين

أنامله

تتناثرُ

كفوضى حجارة

على جلدها

المخملِي

وتخز بطنها اشواكُ

جذعه المقيت

وهو يحصي

اضلاع جوعها

لم يعرف الطريق

الى قلبها

أبدا

من يجيد سواها

زرع غابات

الغروب

على وسادة

واحدة؟

من يجرو

على الامتثال

لأوامر شرر

عينيها؟

يقترّب الليلُ

بأرجل هرة جائعة

وتقتربُ من فراشها

السندسي

كرذاذ مطر

الصيف

تحت لمسات

اصابع باردة

تتجدُّ

كصفحة فارغة

وينطوي لحمها

كثوب عتيق

في كنيسة نوتردام

خرجت كلُّ شياطين

اسميرالدا

من بقع تعذيب

زرقاء

عودي أبتها القطرة

الصغيرة

يا وريثة الغيمة الساحرة

والسماء المبللة

وأوراق السدرة

المدللة

والزمن الذي خلد

الى نوم عميق

على رضاب لذيق

ينزلق هذا الشتاء

كجسد رضيع

على حجرها

وترسو عند سرتها

بيوتُ الثلج

وتقيم عيناها

دامعتين

مأتم النخيل

ولا شمسَ تواسي

حيث الصقيع

لازال في القلب

متسع للحزن

يا أبتى

ولا قبر يواريك

ولا حتى سيف موت

يحول بيني

وبين ذراعيك

(1) قرة العين : شابة من عائلة ثرية رائعة الجمال اسمها "زرين تاج" أي التاج الذهبي لأنها كانت شقراء من مدينة قزوین الايرانية.

آمنت بالفكر البابي الذي انضم اليه الكثير من اليهود والمسيح ونادت بظهور الخلاص المهدي بعد ان اسفرت وخطبت في الناس في مدينتي كربلاء والكاظمية في القرن التاسع عشر واعتبرت في حينها شيطانا انثويا ، قتلت مع اتباعها جميعا في مجزرة هائلة في ايران عام 1852 بعد اعدام الباب الشيرازي مؤسس الفكر نفسه مستندا الى الإحسان.

(2) اسميرالدا : بطلة رائعة "فيكتور هوغو" (احدب نوتردام) الغجرية التي هام بها كوازيمودو قارع الاجراس الاحدب ، تم تعذيبها و اعدامها على مرأى منه في كنيسة نوتردام في باريس فدفن نفسه معها ، وكان يعتقد ان البقع الزرقاء و التي هي طبيا (نزيف تحت الجلد بسبب التعذيب) علامات خروج الشيطان من جسد المرأة .

(3) قلعة سكر : ناحية شمال مدينة الناصرية جنوب العراق بنيت فيها عام 1863 م قلعة من قبل جد الشاعرة "سكر المشلب"،كانت اول مدينة انطلقت منها ثورة العشرين وهي مسقط رأسها ايضا.

تقع على الضفة اليسرى للغراف و تكثر فيها اشجار النخيل والبرتقال والرمان الشهير بطعمه اللذيذ.

(4) "لا ربيع من زهرة واحدة " : مثل فارسي معروف تناقله الموروث العربي والصيني والانجليزي

(5) هارون : هو الخليفة العباسي هارون الرشيد

(6) (ايتها الغمامة اذهبي حيث شئت فأن خراجك عائد الي) : مقولة منسوبة تأريخيا الى الخليفة العباسي هارون الرشيد

(7) نهر الغراف : هو أحد فروع نهر دجلة ويتفرع من نهر دجله عند سدة الكوت في محافظة واسط ويمر ببعض المدن والاقضية و يدخل اراضي محافظة ذي قار وتقع على ضفافه ناحية الفجر ومدينة قلعة سكر والرفاعي وناحية النصر والشطره وناحية الغراف.

و هو النهر الوحيد الذي حفره الانسان السومري بيديه في عهد الملك "انتيميا" وليس من فعل الطبيعة.

(8) مسخ كافكا : هي اشارة الى (المسخ) رائعة الروائي الالمانى كافكا ، وهناك جدل تأريخي حول مدى ايمانه بالفكر الصهيوني استنادا الى رسائله وبعض اعماله المعادية للعرب.